**مؤامرة القرن الكبرى**

باء – من المؤامرات الخطيرة التي ظهرت بوضوح في القرن الاخير – خصوصاً في العقود الاخيرة منه وبالاخص بعد انتصار الثورة الاسلامية – الحركة الاعلامية الواسعة النطاق وذات الابعاد المختلفة الهادفة لاشاعة اليأس والقنوط من الاسلام في اوساط الشعوب، خاصة الشعب الايراني المضحي. فتارة يصرح هؤلاء بسذاجة بان احكام الاسلام التي وضعت قبل الف واربعمائة عام لا يمكنها ادارة الدول في العصر الحاضر، او ان الاسلام دين رجعي يعارض كل معطيات التقدم والتمدن، او انه لا يمكن للدول في العصر الحاضر اعتزال الحضارة العالمية القائمة ومظاهرها، الى غير ذلك من امثال هذه الدعايات البلهاء.

وتارة اخرى يعمدون – بخبث وشيطنة – الى التظاهر بالدفاع عن قدسية الاسلام، فيقولون: بان الاسلام وسائر الاديان الالهية تهتم بالمعنويات وتهذيب النفوس، وتحذّر من طلب المقامات الدنيوية، وتدعو الى ترك الدنيا والاشتغال بالعبادات والاذكار والادعية التي تقرب الانسان من الله، وتبعده عن الدنيا، وان الحكومة والسياسة وادارة الامور تتعارض كلها مع ذلك الهدف وتلك الغاية المعنوية السامية، وهي امور يراد بها بناء الدنيا، الامر المغاير لسيرة جميع الانبياء العظام.

ومما يؤسف له فان الجهد الاعلامي المبذول بالاتجاه الثاني ترك اثره على بعض علماء الدين والمتدينين الجاهلين بالاسلام، الى حد جعلهم يعتبرون التدخل في الحكومة والسياسة معصية وفسقاً، ولعل البعض لازال الى الآن يرى الامر كذلك، وهي الطامة الكبرى التي ابتلي بها الاسلام.

وللرد على الفريق الاوللابد من القول بانهم اما ان يكونوا جاهلين بالحكومة والقانون والسياسة، او انهم يتجاهلون ذلك مغرضين. فتطبيق القوانين على اساس القسط والعدل، والوقوف بوجه الظالمين والحكومات الجائرة، وبسط العدالة الفردية والاجتماعية، ومحاربة الفساد والفحشاء وانواع الانحرافات، وتحقيق الحرية على اساس العقل والعدل، والسعي للاستقلال والاكتفاء الذاتي، وقطع الطريق على الاستعمار والاستغلال والاستعباد، واقامة الحدود وايقاع القصاص والتعزيرات طبقاً لميزان العدل للحيلولة دون فساد المجتمع وانهياره، وسياسة المجتمع وهدايته بموازين العقل والعدل والانصاف ومئات القضايا من هذا القبيل لا تصبح قديمة بمرور الزمان عليها. وهي قاعدة سارية المفعول على مدى التاريخ البشري والحياة الاجتماعية.

ان هذا الادعاء بمثابة القول بضرورة تغيير القواعد العلمية والرياضية واحلال قواعد اخرى محلها في العصر الحاضر، فاذا كان من الواجب تطبيق العدالة الاجتماعية ومحاربة الظلم والنهب والقتل في مستهل الحياة البشرية، فهل سيصبح هذا النهج بالياً اليوم لاننا في قرن الذرة؟

اما ادعاء معارضة الاسلام للتقدم – كما كان يدعي محمد رضا البهلول المخلوع حينما كان يقول: (ان علماء الدين يريدون استخدام الدواب للسفر في هذا العصر) – فان هذا لا يعدو مجرد تهمة سخيفة لا اكثر.

فاذا كان المراد من مظاهر المدنية والتقدم هو الاختراعات والابتكارات والصناعات المتطورة، التي تساهم في تقدم البشر ونمو حضاراتهم، فان الاسلام وسائر الاديان التوحيدية الاخرى لا ولن تعارض ذلك ابداً، فالاسلام والقرآن المجيد يؤكدان على ضرورة العلم والصناعة.

اما اذا كان المراد من التقدم والمدنية ذلك المعنى المطروح من قبل بعض ممتهني الثقافة القائلين بالاباحية في جميع المنكرات والقواحش – حتى الشذوذ الجنسي وما شابه – فان جميع الاديان السماوية وجميع العلماء والعقلاء يعارضون ذلك، وان كان المأسورون للغرب او الشرق يروّجون لذلك من منطلق تقليدهم الاعمى.

اما الفريق الثاني، والذين يؤدون دوراً مخرباً بقولهم بفصل الاسلام عن الحكومة والسياسة فلابدّ من الفات نظر هؤلاء الجهلة بان ما ورد من الاحكام المتعلقة بالحكومة والسياسة في القرآن الكريم وسنة رسول الله(ص) يفوق كثيراً ما ورد من الاحكام في سائر المجالات، بل ان كثيراً من احكام الاسلام العبادية هي احكام عبادية – سياسية، والغفلة عن ذلك هي التي جرت كل هذه المصائب. لقد اقام رسول الله(ص) حكومة كسائر حكومات العالم، ولكن بدافع بسط العدالة الاجتماعية، وكذلك فقد حكم الخلفاء المسلمون الاوائل بلدان مترامية الاطراف، وكذا كانت حكومة علي بن ابي طالب(ع) باعتمادها على ذلك الدافع وبشكل اوسع واشمل. وهي امور من واضحات التاريخ. ثم توالت الحكومات باسم الاسلام، واليوم ايضاً فان ادعياء الحكومة الاسلامية سيراً على خطى الاسلام والرسول الاكرم(ص) كثيرون للغاية.

واكتفي أنا في هذه الوصية بالاشارات فقط، آملاً ان يتولى الكتاب وعلماء الاجتماع والمؤرخون اخراج المسلمين من هذه الاشتباهات.

**حكومة الحق من أسمى العبادات**

أما ما قيل من أن مهمة الانبياء(ع) تقتصر على المعنويات، وانهم والاولياء العظام كانوا يجتنبون الحكومة وكل ما يتعلق بالدنيا الدنية، وان علينا ان نقتفي خطاهم، فهو خطأ يبعث على الاسف حقاً ويؤدي الى تدمير الشعوب الاسلامية وفتح الطريق امام المستعمرين والمستغلين.

ان المرفوض في نهج الانبياء(ع) والذي حذروا منه انما هو الحكومات الشيطانية الظالمة المستبدة التي تقوم لاجل التسلط ولدوافع دنيوية منحرفة، ولجمع المال والثروة والسعي للتسلط والتجبر، وبالنتيجة الدنيا التي تسبب غفلة الانسان عن الله تعالى.

اما حكومة الحق المقاومة لأجل المستضعفين والوقوف بوجه الظلم والجور، واقامة العدالة الاجتماعية كالحكومة التي اقامها سليمان بن داود ونبي الاسلام العظيم(ص) وما سعى اليه اوصياؤه العظام، فانها من اجل الواجبات، والسعي اليها من اسمى العبادات، كما ان السياسة الصحيحة التي مارستها تلك الحكومات هي من أوجب الامور.

على الشعب الايراني اليقظ الواعي السعي لاجهاض هذه المؤامرات بالرؤية الاسلامية، وعلى الخطباء والكتاب المتدينين ان ينهضوا لمؤازرة الشعب في قطع ايدي الشياطين المتآمرين.

**خطر الشائعات والنقد الهدّام**

جيم – ومن نفس سنخ هذه المؤامرات – بل لعله الأمر الاكثر ايذاءً – الشائعات التي تنطلق على نطاق واسع يشمل كافة أنحاء البلاد ويشتد في غير العاصمة من المدن الاخرى، من القول بان الجمهورية الاسلامية ايضاً لم تفعل للناس شيئاً، وان الناس مساكين قدموا التضحيات بشوق ولهفة من اجل التحرر من نظام طاغوتي ظالم، ثم اصبحوا ضحية نظام اسوأ، فالمستكبرون اصبحوا اشد استكباراً والمستضعفون اشد استضعافاً، وان السجون مليئة بالشبان – الذين يمثلون الامل والمستقبل للبلاد – واساليب التعذيب تنوعت واشتدت عما كانت عليه في النظام السابق، وان عدداً من الناس يعدم كل يوم باسم الاسلام. وياليت ان اسم الاسلام لم يطلق على هذه الجمهورية، فهذا العهد اسوأ من عهد رضاخان32 وابنه، فالناس يتخبطون في العذاب والمشقة ويعانون من غلاء الاسعار المضني، وان المسؤولين يقودون البلاد نحو نظام شيوعي، فأموال الناس تصادر والشعب يسلب الحرية في كل المجالات.. وكثيراً من اشباه تلك الامور التي يبدو انها تنفذ ضمن خطة مدروسة والدليل على وجود خطة وراء الامر، هو ان الالسن تتناقل كل مدة امراً واحداً بالتحديد في كل زاوية وجانب وفي كل محلة ومنطقة وفي سيارات النقل الخاص والعام، بل حتى في التجمعات الصغيرة المحدودة، الحديث واحد دوماً، واذا استهلك طرح امر آخر بدلاً منه.

ومع بالغ الاسف فان بعض علماء الدين الجاهلين بالحيل الشيطانية يظنون ان الحق في ذلك، وما ان يتصل بهم شخص او شخصان من ادوات المؤامرة حتى يعتقدوا ان اساس القضية هو هذا.

ان العديد ممن يسمعون هذه الامور ويصدقون بها لا اطلاع لديهم على وضع الدنيا ووضع الثورات في العالم واحداث مرحلة ما بعد الثورة ومشكلاتها الجسيمة التي لا محيص عنها. وهم لا يمتلكون الاطلاع الصحيح على التحولات التي تقع لتنتهي لصالح الاسلام، فيستمعون لامثال هذه الامور ثم يقتنعون بها دون تحليل ويلتحقون بأدوات المؤامرة عن غفلة أو عمد.

انني اوصي بعدم المسارعة في الانتقاد اللاذع والسب والشتم قبل مطالعة الوضع العالمي الراهن، ومقارنة الثورة الاسلامية في ايران مع سائر الثورات والاطلاع على اوضاع الدول والشعوب اثناء الثورة وما بعدها، ودراسة ما كان يجري على الناس خلال تلك الفترات، والاخذ في الحسبان مشكلات هذه الدولة المنكوبة بنكبة الطاغوت ضاخان وابنه – الاسوأ منه – وما تركاه من تركة ثقيلة لهذه الحكومة بدء بالتبعية المدمرة، وانتهاء باوضاع الوزارات والادارات والاقتصاد والجيش، ومراكز الفساد ومحال بيع الخمور، والانحلال السائد في جميع شؤون الحياة واوضاع التربية والتعليم واوضاع المدارس الثانوية والجامعات، واوضاع دور السينما ودور البغاء، ووضع الشبان والنساء وعلماء الدين والمتدينين وطالبي الحرية الملتزمين والنساء العفيفات المظلومات والمساجد في عهد الطاغوت، والتحقيق في ملفات المحكومين بالاعدام والسجن، ودراسة اوضاع السجون واسلوب المسؤولين في ادارة تلك المرافق، ودراسة أحوال اصحاب رؤوس الاموال والاقطاعيين الكبار والمحتكرين والمستغلين، ودراسة اوضاع المحاكم العدلية ومحاكم الثورة، ومقارنة وضعها بوضع مثيلاتها في العهد البائد، ثم التحقيق حول اوضاع نواب مجلس الشورى الاسلامي واعضاء الحكومة والمحافظين وسائر الموظفين الذين مارسوا صلاحياتهم خلال فترة ما بعد الثورة، ومقارنة ذلك بما مضى، والتحقيق في طريقة عمل جهاز الحكومة والجهاد من اجل البناء33 في القرى المحرومة من كل الامكانات بما في ذلك الماء الصالح للشرب او المستوصفات ومقارنة ذلك في العهدين، مع الاخذ بنظر الاعتبار الفترة المتاحة لكل منهما، وما ترتب من نتائج على مسألة الحرب المفروضة، من قبيل الملايين من المشردين والآلاف من عوائل الشهداء والمعاقين، مضافاً الى ملايين النازحين من الافغان والعراقيين، ومع الاخذ بنظر الاعتبار الحصار الاقتصدي والمؤامرات المتوالية من قبل امريكا وعملائها الاجانب والمحليين. هذا علاوة على فقدان الاعداد اللازمة من المبلغين العرافين بالامور وقضاة الشرع وامثالهم، والمحاولات المتواصلة من قبل اعداء الاسلام والمنحرفين – بل حتى الاصدقاء الجهلة – لخلق الفوضى، الى عشرات الامور الاخرى.

فلترحموا هذا الاسلام الغريب الذي عاد بعد مئات السنين من ظلم الجبابرة وجهل الشعوب، طفلاً حديث العهد بالمشي، ووليداً محفوفاً بالاعداء الاجانب والمحليين.

فلتفكروا انتم ايها المختلقون للاشكلات، اليس من الافضل السعي للاصلاح والمساعدة، بدلاً من السعي في التدمير؟ ثم أليس من الافضل التصدي لنصرة المظلومين والمضطهدين والمحرومين، بدلاً من تأييد المنافقين والظالمين والرأسماليين والمحتكرين من عديمي الانصاف الغافلين عن الله؟ اليس من الافضل النظر الى المقتولين غيلة بدء من علماء الدين والمظلومين وانتهاء بالقائمن بمختلف الخدمات المتدينين، بدلاً من النظر الى الفئات المشاغبة والقتلة المفسدين ودعمهم وتأييدهم بطرق غير مباشرة؟

انني لم ادّع – ولست مدعيا الآن – بان الاسلام العظيم مطبق بكل ابعاده في هذه الجمهورية، وانه لا يوجد مخالفين للقوانين والضوابط – جهلاً او بسبب عقدة ما او لمجرد عدم الانضباط – لكنني اقول ان السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية تبذل جهوداً جبارة لاسلمة اجهزة الدولة، وان الشعب بملاينه يؤيدها ويدعمها. ولو ان تلك القلة المثيرة للاشكالات والتحبيطات بادرت الى المساعدة، لاصبحت امكانية تحقق تلك الآمال اسهل واسرع. اما اذا لم يثب اولئك الى رشدهم – لا سمح الله – فان الشعب المليوني اليقظ الواعي المتأهب سينطلق لتحقيق هذه الآمال الانسانية الاسلامية بشكل مذهل – بحول الله – وحينها لن يستطيع اولو الافهام المنحرفة من المثيرين للاشكالات الصمود امام هذا السيل الهادر.